تحدّيك

هو كابوس يُقلق المجتمع وحلّه هاجس لجنة حقوق المرأة اللبنانية
بمبادرة مع الطلاب الثانويين

العنف ضد النساء...

تمارا حريصي آخر ضحاياه تروي حكايتها... وشباب لبنان يحللون ويقدمون الطروحات!

تحقيق: زهرة مرعي

لم يعد العنف الأسري سيرة تتهامس بها نساء الحي أو المحلة، سواء في منطقة شعبية أو في أخرى تمتاز بالراحة من شظف العيش. ولم تعد خبراً تتناقله وسائل الإعلام فقط وينتهي الأمر عند هذا الحد، بل صار للنساء قانون يحميهن حتى وإن كان مبتوراً. وآخر اللواتي حصلن على هذه الحماية تمارا حريصي التي شاهدها الملايين على شاشات التلفزة متورمة العينين وخائرة القوى. والأهم في مسألة المواجهة مع العنف أنه صار مادة تعالج درامياً ومسرحياً أيضاً، مثل مسلسل «كفى» من كتابة طارق سويد، ومسرحية المخرجة لينا أبيض «هيدا مش فيلم مصري» وغيرها. وفي الطريق أفلام سينمائية ستعالج العنف الأسري. لكن يبقى السؤال عن الخلاص، هل هو ممكن في زحمة العنف والقتل الذي يضرب مجتمعاتنا العربية؟ وكم هي المهمة صعبة؟

لجنة حقوق المرأة اللبنانية التي دأبت منذ سنة ١٩٧٧ على إجراء مسابقة بين التلامذة الثانويين بطرح سؤال اجتماعي، إنساني أو وطني للمعالجة، حرصت هذا العام على طرح السؤال الآتي للتحليل من قبل جيل الشباب: حماية المرأة من العنف: واجب على السلطة ومسؤولية المجتمع؟ وكان لافتاً جداً التحليل الذي قدمته مجموعة من التلامذة. ومن تلك المسابقات التي فاز أصحابها اخترنا بعض الفقرات المعبرة. كما اخترنا مسابقة مميزة جداً لم تنل علامة مميزة، لكنها شكّلت صدمة للمصححين لما تضمنته من طرح صريح وواضح لفتاة عانت العنف الزوجي، وعادت لتنتفض على معذبها وعلى الحياة التي حضّرتها لتكون عروساً قبل أن تكمل دراستها وتعمل. وقد اقتطفنا المقاطع المختارة مما كتبه هؤلاء التلامذة كما هي، بمصداقية مع تصحيح أخطائها فقط، ومرفقة بصورة فوتوغرافية للنص المختار.

1 ثلاث سنوات بكل أشكال العنف!

تقول تلك الفتاة التي اختبرت العنف الأسري: «عندما كنت أذهب لحفلة ما أو لحفل زفاف قريب لي، كانت جدتي (تشغلني) من يدي وتعرّفني على الشباب لأرقص معهم. يعني باختصار (بدا تدبرلي عريس). كنت أمقتها كثيراً.. إلى أن تعرفت إلى شاب أتى (زيارة) إلى لبنان، إذ إنه يعمل في الإمارات العربية المتحدة. خطبنا بعد وعود من الأمير وتلك الأحلام البريئة التي نخرت دماغي وسيطرت عليه. وكنا نتواصل على الهاتف مدة سنتين لأن حضوره إلى لبنان كان مرة كل ستة أشهر. تزوجنا عندما أتممت الثامنة عشرة من العمر. وأثناء هذه الفترة، تعرضت للضرب والتحرش في الوقت نفسه. كان يحاول في البداية الحصول على قبلة وأنا أرفض. بدأ ذلك عندما ذهبنا معاً إلى حفل خطوبة صديقه في العمل، فحاول تقبيلي. وعندما رفضت صفعني بقوة. ومنذ ذلك الحين أصبحت أخشاه. ومن جهلي وخوفي حينها، لم أخبر أهلي. وعندما تزوجت وأصبحت أسكن تحت سقف بيته، زاد هذا العنف وأصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتي. (ترويقتي وغدايي وعشايي) بلا مبالغة. والأسباب كانت سخيفة بشدة. فقد كان يغار من (ناطور البناية) ويتهمني بإقامة علاقة معه ومع غيره. وكان يقفل الباب عليّ ويأخذ المفتاح معه، ويحرمني من الطعام. حاول تشويهي كثيراً، قام بحرقي وتعذيبي وأنا عارية تماماً بكابل الهاتف والشاحن والحزام. وكان يضربني بالتماثيل الثقيلة الموجودة في منزلنا (من النحاس)، ويطعنني بالسكين، ويشتمني وأهلي باستمرار. وعندما... عفواً لذكر ذلك... ولكن أريد إيصال فكرة العنف في نفسه وإلى أين توصل ذلك معه. فأثناء (مرحلة الميعاد) الأنثوي، كان يرفسني على معدتي بقوة فأنزف بشدة وعندها يتوقف عن الضرب والاعتداء. وبعد ذلك يمارس معي (الحب) كما يقول، إذ إنه يرفض قول (ممارسة الجنس) فأنا زوجته وحبيبته كما يدّعي ولست بمومس. أما الجنس فيمارسه معي كل مرة وكأنها آخر مرة، وكان يخونني أيضاً ويشاهد الأفلام الإباحية ويجبرني على مشاهدتها. وقد أدخل مرة نساء إلى المنزل وحاول إجباري على (ملاطفتهن) لأرضيه».

هذه الفتاة وبعد جهود مضنية بين الإمارات المتحدة وبيروت، تمكنت من الحصول على الطلاق، وتقول إنها عادت لتكمل تعليمها الثانوي بعد ثلاث سنوات من الانقطاع. وأعلنت عزمها المشاركة في كل فعالية تُعنى بحقوق المرأة للتحدث عن تجربتها.

2 مسؤولية شباب اليوم

كان لافتاً في مسابقة لتلميذ، أنه وبعد سرد تاريخي لواقع المرأة في حضارات متعددة، والتركيز على المطلوب من السلطات في لبنان، يخلص لتحميل الأجيال الصاعدة مسؤولية التغيير. كتب: «وبما أن قضية المرأة هي قضية متوارثة تتناقلها الأجيال، فإن لجيل الشباب حصة منها، وموقفاً يُجمع عليه وهو «لا للعنف ضد المرأة، ونعم لإحقاق الحق». شباب اليوم هم صوت الحق المناهض للظلم والعنف، ومن واجبهم السعي إلى تغيير العقلية السائدة والمتمثلة بسلطة ذكورية مجحفة بحقوق المرأة وعاملة على اضطهاد النساء. شبان اليوم هم رجال الغد، وعليهم تقع مسؤولية «التطهير» من كل شوائب الظلم والقهر».

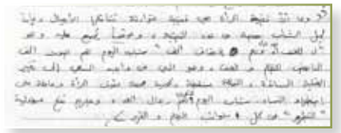

3 تعليم مناهضة العنف في المدارس

في مسابقة لشاب، قرأنا مطالعة قانونية شاملة وبليغة، تناولت كل ما يميّز بين المرأة والرجل في القانون اللبناني، بدءاً من قوانين الأحوال الشخصية وصولاً إلى قانون العقوبات وسائر القوانين التي تميز بينهما، واعتبرها كاتبها «عنفاً يُمارس بحق المرأة». قال: «باختصار، لبنان ما زال يشرّع تعنيف المرأة. من يظلل هذا العنف؟ العنف على أشكاله الجسدية والمعنوية والاقتصادية والسياسية والجنسية، تظلله قوانين الأحوال الشخصية في لبنان والعقوبات التي تفرضها، بالإضافة إلى العادات والموروثات والتقاليد الاجتماعية. فإذا بها تعنّف المرأة قانونياً عبر مواد تلائم الدين والمذاهب، المسيحية منها والمسلمة... قوانين سُنّت في حقبات تاريخية غابرة».

وحين وصل هذا التلميذ إلى اقتراحات التغيير قال: «تلعب المدرسة دوراً بارزاً في مناهضة العنف ضد المرأة. لذا يجب تعليم الأطفال في المدارس أن العنف ضد المرأة والفتاة خطأ، وبالتالي تعزيز المساواة بين الجميع، ذكوراً أو إناثاً في القيمة والكرامة الأصلية، وتنشيط وترويج ثقافة عدم التسامح مع العنف ضد المرأة في المدرسة وفي الأسرة».

4 الخضوع معزز إيجابي

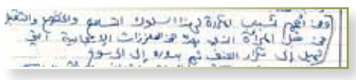

وفي تحليلها للعنف وأشكاله وأسبابه تخلص تلميذة شاركت في المسابقة للقول: «ومن أهم الأسباب المكررة لهذا السلوك التسامح والخضوع والتقبل من قبل المرأة الذي يعدّ من المعززات الإيجابية التي تميل إلى تكرار العنف ثم بدوره إلى الرسوخ».

5 عنف الإعلام

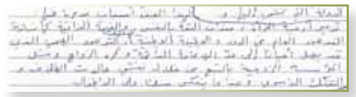

نتائج العنف على المرأة نقرأه في إحدى المسابقات وكأنه من محلل مختص: «تدمير آدمية المرأة، فقدان الثقة بالنفس والقيمة الذاتية كإنسانة، التدهور العام في الدور والوظيفة الوطنية والاجتماعية، التدهور الصحي الذي قد يصل أحياناً إلى حدّ الإعاقة الدائمة وكره الزواج وفشل المؤسسة الزوجية من خلال تفشّي حالات الطلاق والتفكك الأسري وهذا ما ينعكس سلباً على الأطفال».

العنف ضد النساء...

ابنة الـ ١٧ ربيعاً ضحية أبيها

تتوالى الجرائم الموصوفة في المجتمع اللبناني، وبالكاد يمر شهر لا يحمل خبراً مؤلماً جداً، ففي بلدة بينين في عكار واقعة قتل هزّت الضمائر. فلأن **ولاء صوفان** ابنة الـ ١٧ ربيعاً وجدت في خطيبها **أحمد** خياراً صائباً لحياتها، كان نصيبها القتل بأربع رصاصات على يد والدها. فقد دأب الوالد **مصطفى صوفان** لزمن على محاولات إقناع ابنته بالتخلي عن خطيبها بعد خلافات دبت بين العائلتين ولم يفلح. وفي عشية سوداء استدعاها إلى المطبخ ليتابع إقناعها، فكان برصاصتين في فمها ورصاصتين في قلبها، وفرّ الأب بالرصاصات المتبقية بحثاً عن خطيب ابنته لقتله لكنه لم يعثر عليه. شيعت الفتاة إلى مثواها الأخير، ومازال الأب متوارياً، وما زال رجال الدين يبحثون له عن «العذر المخفف» بالقول «الفتاة خرجت عن إرادة والدها». والقول «كان الوالد في حالة غضب قصوى»... وغير ذلك من تحليلات تبحث في مبررات للقتل وربما عن تشريعه لكل من يخالف أو تخالف رأي والدها.

وتضيف تلك التلميذة، مفنّدةً ما تراه عنف الإعلام على المرأة: «فلا يمكننا التغاضي عن العنف الذي يمارسه الإعلام ضد المرأة، فالمتتبع لوسائل الإعلام العربية يجد للأسف الشديد أن هذه الوسائل بدل أن تقوم بدورها في مناهضة العنف ضد المرأة، تمارس هي ذاتها العنف على مدار الساعة في البرامج والأفلام والمسلسلات وحتى في برامج الأطفال. ترى أليس تقديم المرأة بالصورة النمطية كـ «ستّ بيت» مكانها المطبخ وغرفة النوم عنفاً ضدها؟ وأليس تقديم المرأة ذات دور هامشي في المجتمع والحياة عنفاً ضدها؟».

تجربة حية مؤلمة

تمارا حريصي:
حتى مع عذاباتي كانت لديّ أحلام

آخر النساء المعنفات على يد زوجها حسين فتوني، والتي صدم مشهد عينيها المتورمتين كل من شاهدها في نشرات الأخبار اللبنانية، ونجت من الموت بأعجوبة، هي تمارا حريصي التي تكمل عامها الثاني والعشرين بعد بضعة أشهر، معها كان هذا الحوار...

□ كم كان عمرك حين تزوجت، وهل تعملين؟

- ٢٠ سنة. وبعد ثلاثة أشهر من الزواج حملت بابنتي ماديسن. قبل الزواج كنت أتابع دراستي الجامعية في تخصص المختبر حيث وصلت إلى منتصف السنة الثانية، وأعمل في المحاسبة في الوقت نفسه. وعندما تعرفت إلى زوجي توقفت عن الدراسة والعمل.

□ لماذا صمدت أمام الضرب والإهانة أكثر من سنة ونصف؟

- بصراحة، تزوجت «خطيفة» رغماً عن إرادة والديّ. لهذا تحملت العذاب كي لا يقول لي قائل «أنت من اخترت». ومع كل جولة عنف كنت أحادث نفسي وأقول أنا من اختار، وعليّ تحمل النتائج. وفي المرحلة الأخيرة كنت أنتظر أن يلحق بي أذى يسمح لي برفع شكوى في المخفر وزجّه في السجن. فأنا أعرف أنه يشكل خطراً على حياتي، وإن تركت البيت من دون وضعه في السجن فهو سيلاحقني ويؤذيني. وهذا ما حصل في واقعة العنف الأخيرة، هربت من المنزل وتوجهت إلى جمعية «كفى» وحصلت على حماية الدولة، وهو لن يتمكن من إعادتي إلى منزله. خلال السنة والنصف من العذاب لم أتمكن من الهروب، ولا من وضعه في السجن. والسبب الأهم عدم رغبتي في أن تصبح عائلتي طرفاً في هذا النزاع لأنني خالفت إرادتها.

□ متى بدأ مسلسل تعنيفك؟

- بعد أسبوع فقط على الزواج. لم يكن قد انفصل عن زوجته السابقة بعد، وكان يأتيني بطفليه، وأنا ما أزال أعاني فراقي عن أهلي وخصوصاً أمي. عبّرت له عن تعبي وطلبت منه الوقوف بقربي عاطفياً على الأقل. كلام لم يرق له، وبحسب ما قال إن مشاكله أكبر من مشاكلي، فضربني بقوة على أنفي وغبت عن الوعي. وكان ذلك على مرأى والدته وإخوته إذ كنت لا أزال في منزلهم. أذكر حينها أنني أفقت من الغيبوبة وهو يضع رأسي تحت الماء والدم ينزف من أنفي وفمي.

□ بعد ابتعادك لأيام عن مكان تعنيفك ومعنّفك، هل كوّنت مشاعر خاصة حيال ما حصل معك على زواجك القصير؟

- فكرت ملياً في ما حصل معي، وسألت نفسي عن ذنبي، ولم أجد ذنباً اقترفته. لو كنت ظلمته مرة واحدة فقط خلال السنة والنصف من عمر الزواج، لما أنقذني الله من بين يديه وحمى ابنتي. فلو عرفت كيف هربت مع ابنتي لقلت هذا فيلم سينمائي وليس واقعاً.

□ وكيف كان الهروب من الجحيم؟

السيطرة على المرأة، واحتقار ما يعتبره الرجل ضعفها، والأذى الثأري حيال هذا الكائن الإنساني، لتجريده من إنسانيته. رابعاً، التحول العنفي في المجتمع العربي بعد سلسلة الحروب المتنوعة، والذي لا يقتصر فقط على مرحلة المعارك والحروب، بل يتردد صداه في النفوس من خلال ردود لاستشراء العنف الغرائزي القاتل، والمهدد حالياً لجميع المجتمعات العربية، ولكل آخر مختلف. وكل عصبية دينية تترافق دوماً مع عصبية دينية، ومع عصبية جنسية تحتقر النساء، تستخدمهن، تقتلهن في انحدارها الحيواني المريع.

□ هل نبدأ من المدرسة كما قال التلامذة في ما كتبوه عن العنف؟

- يجب أن نبدأ من مكان ما، أو من كل الأمكنة بسبب فداحة ما يتهدم من كرامة الإنسان المعنّف الذي يتحول إلى حيوان خائف، والمتحول إلى ذئب جامح. إن التربية العائلية والجو العائلي المسالم أساسيان في تجذير رقي العلاقة الإنسانية. وبما أننا نتكلم عن التلامذة والمدارس، فإن المدرسة تشكّل مساحة رحبة لتكوين العلاقات الإنسانية والمفاهيم والقيم والممارسات. ففيها لا يجمع التلامذة الانتماء العائلي أو العرقي أو الديني أو الطبقي، بل يجمعهم المشروع التربوي الذي يدرّبهم على قبول الاختلاف ومحبة المختلف، والاستفادة من غنى التنوع وحسن التعامل. وهذا لا ينفي أن لدى الولد طاقات عنفية، تحاول المدرسة تسييرها في قنوات إبداعية أو رياضية، أو أي نشاط إيجابي، يحمي من أذى النفس، ومن محاولة أذى الآخرين. التربية المدرسية في مجتمعات تطعمت بالحروب والعصبيات مهمة صعبة، تدعو إلى ورشة تعليمية كبرى أسميها «تربية نقاهة» تتطلب صبراً ورؤية وطنية وإنسانية تُعنى ببناء وطن وإنسان. وهناك تيار تربوي عالمي تعتمده الآن بعض المؤسسات التربوية وهو «التربية اللاعنفية» التي تحاول اختراق كل المواد التربوية، بمفاهيم لا عنفية، تقاوم إيجابياً كل تهديد للحياة وللكرامة الإنسانية.

□ ما هي الحلول برأيك لهذا العنف؟

- كم هو صعب هذا السؤال؟ كيف بإمكان المجتمعات العربية الآن تأمين العمل لشباب اعتاد البطالة وبطولة السلاح؟ ترميم النفوس ومسح آثار الدماء عن الضمائر وعن الضحايا؟ إزالة ما ترسّخ طويلاً في النفوس من حقد وثأر وجروح؟ إننا نراكم خراباً على خراب، ونجذّر في النفوس بشاعة وظلاماً. المعركة صعبة مع العنف الساكن في الأعماق. معركة طويلة قد لا تعيد المجتمع إلى ما كان عليه من قيم مسالمة. معركة تتطلب كثيراً من الصفاء والتسامح. لدينا عمل على أجيال عديدة كي نمسح عن النفوس ندوب العنف، وكي نقهر الوحش المتمكن فينا.

□ هل تعتبرين الحركة النسائية والمدنية المناهضة للعنف تقوم بما عليها؟

- لقد تطورت الحركات النسائية والمدنية منذ العقدين الماضيين، ليس فقط في رؤيتها ونشاطاتها، ولكن في اعتماد التخصص في سبيل قضية واحدة بعد أن كانت الجمعيات النسائية في بداياتها تعتبر أن كل ما له علاقة بالمرأة يدخل في مجال نشاطها. نجد اليوم مثلاً جمعيات خاصة بالعنف الأسري تعمل بعمق وتنوع وفعالية، فكرياً وعملياً في سبيل هذه القضية. وهو نشاط يتسم بالعقلانية والتنظيم، سواء في مشاريعها على الأرض أو في منهجية متابعتها لمشاريع قوانين تخدم قضيتها. أعتبر هذه الجمعيات الآن، وتحديداً بمساندة الإعلام لمشاريعها وتحركاتها، وتخصص بعض الإعلاميات لنشر دعواتها ومتابعة إنجازاتها على أرض الواقع، استطاعت صياغة رأي عام، وتكوين وعي جديد يمهّد لبزوغ عقلية جديدة، والضغط لتبديل قوانين جائرة. إن تبديل العقليات مسيرة طويلة مضنية، وأعتقد أن الحركة النسائية والمدنية في لبنان اليوم تشكل حالياً موقع وعي اجتماعي يُحسب له ألف حساب.

د. إلهام كلاب: لدينا عمل على أجيال عديدة

الدكتورة إلهام كلاّب، الأستاذة في الجامعة اللبنانية سابقاً، والأستاذة في الجامعة اليسوعية حالياً، الحاصلة على دكتوراه في تاريخ الفنون والآثار من جامعة السوربون - باريس، ولها دراسات وتحليلات معمّقة حول قضايا المرأة، تشرف على تصحيح المسابقة التي تجريها لجنة حقوق المرأة منذ انطلاقها سنة ١٩٧٧، معها كان حوار حول موقف الجيل الصاعد من العنف...

□ أشرفت على مسابقة لجنة حقوق المرأة التي عالجت موضوع العنف ضد النساء. كيف ينظر الشباب في المرحلة الثانوية إلى هذا الموضوع؟

- في العادة تعالج هذه المسابقة مواضيع اجتماعية ووطنية. بين سنة وأخرى ألاحظ التطور الذهني لدى التلامذة في مواجهة مشاكل مجتمعهم، وأهمية معالجتهم لها من خلال خبراتهم، وقناعاتهم لما تعنيه هذه المشاكل، وكأن كتابتهم هي نوع من التزام ونمو لوعي شخصي. لقد عالج كل التلامذة الذين شاركوا هذه السنة موضوع العنف ضد النساء بمنهجية ووعي ورفض قاطع له، ولكل أنواعه. ما استوقفنا وشكّل تقديراً إضافياً لهذه المسابقات، هو الانطلاق في تجربة شخصية، أو مشاهدات عائلية، أو نتائج مأساوية في تعبيرات صادقة مؤثرة ومبدعة، ظهرت ليس فقط في مسابقات الفتيات، بل خصوصاً في مسابقات الفتيان الذين كانوا من أغلب الفائزين فيها. فقد لاحظنا وعياً شخصياً يتكوّن لدى التلامذة الثانويين، خارج إطار التلقين وتكرار العبارات الكلاسيكية، وأبعد من محاولة إرضاء المصحح بالتعبيرات المنتظرة. حيال هذه المواقف المثالية والمتحفزة ضد أي عنف أو ظلم، نتمنى أن يحتفظ كل تلميذ وتلميذة بنقاء هذه المواقف عندما يخرج إلى الحياة ويواجه صعوبات ومواقف تمتحن قناعته الشابة. أعتقد أن التلاميذ الذين أثاروا إعجابنا بمواقفهم ورؤيتهم الفكرية، والذين حازوا على تقديرنا وجوائزنا، سيشكلون بالرغم من العنف المتنامي حولهم، رسل الدعوة إلى السلام، وإلى كرامة كل إنسان.

□ لماذا برأيك يزداد العنف في مجتمعاتنا؟

- يزداد العنف في مجتمعاتنا بتواتر مذهل، وربما يسهم في إظهاره تطور إمكانات الإعلام وانتشار الخبر السريع. ومن الأكيد أن تعبير النساء عن العنف الواقع عليهن وعدم السكوت عن امتهان الجسد والكرامة، وعن الأذى الجسدي والنفسي، أسهم كثيراً في الكشف عمّا خبأته بخجل كبير أو بخفر أو بخوف، أجيال من النساء عانت وخافت وصمتت. وإضافة الى تعبير النساء، وإلى الفضاء الإعلامي الواسع الذي يكشف ما كان مخفياً، فإن مجتمعاتنا اليوم في لبنان والعالم العربي، تتوالد فيها أشكال من العنف، عززها أولاً وجود السلاح الكثيف بين الناس وتحوّله إلى أداة حسم، وإلى عقلية لا تحاور، لا تصغي، لا تصبر، بل تستطيع حل كل إشكال بطلقة رصاصة. وثانياً السلطة الضائعة والتي تتسم بالفوضى والاضطراب الأمني، والبؤس الاقتصادي، وبطالة الشباب المستشرية، وبالتحديد عنف مفهوم السلطة نفسها التي فرضت ذاتها أساساً كبأس بوليسي، لا كعقد اجتماعي منظم للمجتمعات. ويأتي في الدرجة الثالثة سيطرة العصبيات والأعراف على القوانين المدنية، وغياب القوانين الرادعة خصوصاً في مجال العنف الأسري، حيث تتجذر الذكورية الدهرية في محاولات السيطرة والاحتقار والأذى،

العنف ضد النساء...

.واقعة العنف الأخيرة حصلت في يوم سبت. استمر جالساً فوق جسدي يعذبني بكل ما أتيح له من قوة من الثامنة صباحاً حتى الحادية عشرة. ضرب بالقبضة، رفس أحياناً كثيرة وسوى ذلك بشكل متواصل، وأنا امرأة ذات حجم صغير، وهو يكبرني بـ ١٢ سنة. حتى إنه رمى عليّ السبيرتو ولا أدري كيف لم تشتعل النار بي. وفي هذا الوقت كان يردد على مسمعي «بدي شوّهك. بدي شيل عيونك اللي كلن بيطلعوا فيهن. بدي شلك سنانك الحلوين. بدي قصلك شعرك وأحرقك حتى ما يطلّع حدا فيكي. بدي شوّهك لأني بغار». وأثناء جولة التعنيف هذه كان خطه يرن باستمرار، سألته من؟ فلم يجب لا عليّ ولا على المتصل. لكن قلبي قال إنها شقيقتي حنان فهي لا تتخلى عني. في هذه الأثناء تركني وقال لي «راجع أقبرك هون» وترك المنزل. شعرت أنها نهايتي في حال بقيت في مكاني. لكن شقيقتي سبق أن أرشدتني كي أخبئ نسخة من المفتاح. قاومت بكل قوة حتى أحضرت حقيبة لطفلتي وزحفت إلى الجيران مع أني أنزف دماً نتيجة الضرب على الكلية. ما إن شاهدني الجيران حتى انفجروا بالبكاء نتيجة شكلي المفجع. اتصلت بشقيقتي ولم تصدق صوتي مباشرة سألتني: عيناك في مكانهما؟ وما هو وضع أسنانك؟ فحسين فتوني قال لها بالحرف: قلّعت عينيها وأسنانها، وأنا في طريقي للإجهاز عليها. قلت لشقيقتي ما هو وضعي وسألتها إلى أين أهرب؟ طلبت مني الهدوء وبأنها ستكلم قوى الأمن الداخلي. وما هي إلا عشر دقائق حتى جاءت سيارة الدرك وأنزلوني محمولة إلى سيارتهم مع طفلتي، وبداخلها انفجرت باكية بعدما تأكدت أن عمراً جديداً كُتب لي.

□ هل كنت تعرفين بالعنف الأسري قبل الزواج؟

.كنت أعرف أن العنف الأسري موجود ولم أتوقع يوماً «تصير معي». لم يخطر هذا الأمر حتى في خيالي.

□ مذ وصلت إلى بيت والديك، هل تشعرين بالحماية؟

.طبعاً. «شو بدي خبرك»؟ هي حياة ثانية كُتبت لي. أنا مع ناس يحبونني ووقفوا إلى جانبي. يقولون لي «اطلبي وتمني». السنة والنصف التي عشتها أشعرها تُمحى بوجود أهلي قربي، وجمعية «كفى» التي تولّت أمري، وكل الناس الذين يحبونني ويخافون على سلامتي. ولا شك في أنني قوية بوجودكم أنتم أهل الإعلام والرأي العام.

□ وما هي الحماية التي حصلت عليها من قاضي الأمور المستعجلة؟

. تنص الحماية على عدم تعرّضه لي ولعائلتي حتى وإن كنت لا أزال زوجته، ولو رفض طلاقي. وهي حماية لمدى الحياة في حال حصول الطلاق أو عدمه. وكذلك الحماية لطفلتي.

□ هل أتيح لك التفكير بالغد، وهل بقيت لديك أحلام؟

. أنظر إلى الغد إيجاباً. فحتى مع عذاباتي كانت لديّ أحلام وكنت أراها بعيدة المنال. أتمنى الآن لو أتمكن من تحقيقها، وفي مقدمتها متابعة دراستي الجامعية، وتربية ابنتي بأفضل ما يكون. في الجحيم السابق الذي كنت فيه كان هذا مستحيلاً. اليوم ستكون طفلتي في أفضل المدارس، وسأعمل لتغيير شامل في حياتي. بدأت أولى أحلامي تتحقق بعودتي الفتاة المدللة لدى عائلتي. فرغم عصياني لإرادتهم وجدت قلبهم مفتوحاً لي.

□ ما هو شكل الضغوط على عائلتكم من قبل رجال الدين؟

. هي ضغوط تقول إن الطلاق عندنا لا يحصل، وديننا لا يطلقها. كل الجيران حيث كنت أسكن ترجّوا الدرك أن يخلصوني نهائياً من بين يديه، وودعوني إلى سيارة الدرك مهنئين بحياتي الجديدة، ورجال الدين يتحدثون عن الطلاق الذي لا يتم؟ فعلاً أستغرب موقف رجال الدين، من هي في وضعي يجب أن تطلق مباشرة، خصوصاً أنني منذ أربعة أيام وأنا أبصق الدم، والنزيف في العينين قوي جداً، وقد قال لي الطبيب إنه يلزمني شهر حتى يبدأ بالزوال. كما أن رؤيتي مشوشة.

□ خلال الضرب على مدى ثلاث ساعات، ماذا حصل لطفلتك؟

.كانت تصرخ، وكان معنا في المنزل أيضاً ولداه البنت ٦ سنوات والصبي ٣ سنوات، لكنه أقفل الباب عليهما بعد أن ضربني الضربة الأولى.

□ هل يمكن أن تقدمي على الزواج ثانية؟

. نهائياً هذه الفكرة لم تعد تخطر حتى في خيالي. لن أخسر ثانية دلال ومحبة أهلي كرمى لأي رجل. الآن أعيش لابنتي فقط

عزة مروة: الهدف الأول تعديل القانون

إلى رئيسة لجنة حقوق المرأة عزة مروة توجهنا بالسؤال لمعرفة حوافز طرح موضوع العنف في المسابقة المخصصة للتلامذة الثانويين، فأجابت:

. بادرنا إلى مسابقتنا هذه سنة ١٩٧٧ حين كنا لا نزال في الحرب الأهلية، وكان لبنان ممزقاً، في محاولة لتوحيد شبابه حول موضوع عام يجمع الكل وخصوصاً بناة المستقبل. لم نطرح فقط ما هو خاص بالمرأة، مع أننا طرحنا موضوع التميّز ضدها، لكننا نعني به المساواة في المواطنة. كما طرحنا في هذه المسابقة الكثير من القضايا الإنسانية والوطنية، منها قانون الانتخاب ودور الإعلام وكذلك موضوع الأزمة الاقتصادية. في تلك المسابقات حاولنا التأكيد أن قضايا المرأة وطنية بامتياز وهي تعني كل المجتمع. وفي سنة ١٩٩٣ صدر عن الأمم المتحدة الإعلان الخاص بمناهضة العنف ضد المرأة، وعندما بدأت التحضيرات لمؤتمر بكين كان هذا الموضوع أساسياً من ضمن ١٢ محوراً معدّاً للنقاش. وعشية ذاك المؤتمر عُقدت في بيروت محكمة عربية لمناهضة العنف ضد المرأة بمبادرة من النجدة الشعبية اللبنانية، وساهمت لجنة حقوق المرأة بفعالية في أعمال هذه المحكمة. ومن ثم عُقد اجتماع عربي عام في المغرب وتمّ تأسيس محكمة النساء لمناهضة العنف، وانتُخبت في ذلك الحين زميلة لنا في الهيئة الإدارية منسقة عامة للمحكمة التي صار مقرها بيروت وفي لجنة حقوق المرأة. كثر نصحونا بعدم استعمال تعبير محكمة لأنه «ينقّز»، فكانت «الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد النساء». وحالياً ثمة مؤسسات عدة تعمل في هذا الموضوع. ومؤخراً دخلنا مرحلة العنف القاتل، وهذا ما خرج للعلن، فكيف بالذي لم يعلن؟ مع قضايا رولا يعقوب، منال عاصي، كريستيل أبي شقرا وآخريات تحوّل الأمر من قضية عنف تخص النساء إلى قضية اجتماعية ووطنية عامة. وهذا العام حاولنا جذب شباب لبنان لتحليل هذا الواقع بالسؤال: «حماية المرأة من العنف: واجب على السلطة ومسؤولية المجتمع؟»، كنا أمام مسؤوليتين: المجتمع - أي نحن وكل فئات المجتمع اللبناني الحريص على الحقوق الإنسانية للإنسان - والسلطة. ففي نيسان الماضي شوّه مجلس النواب مشروع القانون الذي عُرض عليه فصدر قانون لا نرضى به وسنعمل على تعديله.

□ كلجنة نسائية عريقة، هل هناك ضرورة لتغيير مواجهة العنف؟

. لن أقول «تغيير»، بل تطوير التحرك لمواجهة هذا القانون المشوّه. عملنا يفترض أن يتطور. ونحن بصدد دراسة آلية تطوير المواجهة في موضوع العنف ضد المرأة، والهدف الأول تعديل القانون.